تعد للاطلاق فانفجر بعضها في يد اصحابها اثناء المعركة .

اتخذ قائد الحامية قرارا فوريا باجراء التبديل للاماكن التالية : عمارة الحاج فؤاد والقلعة وفندق الحاج داوود . وما ان حل الظلام حتى كانت جميع العناصر مبدلة ، واستلمت السرية الجديدة تلك المراكز ، واتخذ آمرها فندق الحاج داوود مقرا له ، وانسحبت العناصر الأولى ملتحقة بقياداتها .

لقد كان التبديل ضروريا في اعقاب هذه المدة الطويلة . وكانت حجة القائد ان العناصر القديمة (وهذا واقع واكيد) قد بلغ بها الاعياء مبلغه . وأضر بها الجهد والتعب ولا بد من تبديلها بعناصر جديدة ومرتاحة ودفعها الى الخلف لتشكل احتياطا تكتيكيا للقوات الجديدة .

تنفيذا لهذا الامر ابقيت عناصري في مراكزها الخلفية كاحتياط . اذ كانت هناك بعض الابنية الخلفية مستعملة من قبلها كأماكن للنوم والراحة اثناء النهار وفترات الهدوء . وبعد انتهاء الاستلام والتسليم عدت الى مركز قيادتي في السرية وكلي يقين بأننا مقدمون على معركة ثانية اشد من الاولى واعنف .

في تمام الساعة ٢٢ر١٥ من ليلة ٩ــ١٠/٥/٤٨ فتحت النيران بكثافة اشد من سابقتها في الهجوم الاول، فشملت جميع أنحاء المدينة، ثم ما لبثت ان تركزت على مركز البوليس، والقلعة، وعمارة الحاج فؤاد ، ومقر القيادة . وكانت نيران الاسلحة الالية تشكل دويا مستمرا ، اما رمايات الهاون وراجمات الالغام فكانت غزيرة جدا ، واستهدفت القلعة بصورة خاصة .

ولم تستطع سرية الاغوار الصمود امام كثافة النيران الهائلة ، اذ انها لم تتعود من قبل على هذا الجو القتالي العنيف ولم يكن لها سابق خبرة عسكرية ولا تعود على جو المعارك مهما كان بسيطا ، فأسقط في أيديها . وانسحبت على الفور وتبعثرت بشكل غير منظم . واستطاع العدو ان يحتل القلعة بسرعة نظرا لقرب المسافة الفاصلة ، وراح يمطر عناصرها الخلفية بوابل رشاشاته الالية، وقد حاولت عناصرنا عبثا استرداد القلعة مستعينة بخنادق المواصلات ، ولكنها لم تستطع ذلك ، وسقط منها عدد لم أعد أذكره ما بين قتيل وجريح . اما السرية الجديدة فلم يعد احد يرى لها أثرا ، وكأنها عرفت الطريق فعادت من حيث أتت .

كانت الاحوال الجوية غير مساعدة للرؤية . وكان الجو ماطرا . والجو في هذه الحالة يساعد المهاجم اكثر من المدافع . واستطاع العدو التسلل والتقرب الى مسافات قريبة حتى وصل ، تحت حماية النيران ، الى مسافة الانقضاض ، فانقض على الخنادق دون ان يقاومه احد .

وفشلت الهجمات المعاكسة والبسيطة (على مستوى حضيرة أو اقل) التي قام بها افراد السرية القديمة لاستعادة الخنادق وتمكن العدو بالتالي من الاحتفاظ بالقلعة واجراء الرمايات المباشرة على الاهداف الواقعة وراءها .

ثم سقطت عمارة الحاج فؤاد وفندق الحاج داوود ، فاضطرب عندها الموقف، واختلط المقاتلون بالاهالي . والنساء والاطفال بالرجال وانتقل تركيز الهجوم المعادي الى مركز البوليس . وما لبث قائد الحامية ان انضم الي في الجهة الشرقية واعلمني بأنه أمر الملازم حافظ بالانسحاب واخلاء المركز . فسقط المركز بيد العدو ، وقد كان من اقوى المراكز بناء وأشدها تحملا لوطأة أي هجوم مهما كان شديدا ، حتى ولو وصل العدو الى جدرانه فنسفها بالديناميت (اذ لم تكن هناك اسلحة ضد الدروع وضد التحصينات) .

وفي حوالي الساعة الثانية والنصف من صباح العاشر من ايار التقيت بقائد الحامية عند مربض الهاون ٨١ مم (وقد نفدت ذخيرته) فتقرب مني قائد الحامية وبيده ورقة قال انها برقية من القيادة تأمره بالانسحاب جوابا على برقيته التي يؤكد فيها للقيادة انه لم يبق في صفد الا انا والملازم هشام.

كان منظر المدينة في الحقيقة مؤثرا للغاية ، فلقد سقطت المراكز الدفاعية في صفد الواحد تلو الاخر ، ولم تعد اية مقاومة مجدية امام الاشراف الطاريء من هذه المراكز المحتلة على جميع الطرق والمنافذ المؤدية الينا ، اما حقيقة الانسحاب من المدينة فقد بدأ قبل صدور الاوامر به كما تدل عليه البرقية الجوابية السابقة .

وكنت الضابط الوحيد الذي انسحب ومعه جنوده(٥) بعد أن أمرتهم بالانسحاب حضيرة اثر

٥ ــ وكان ذلك حوالي الساعة ٤ر٣٠ صباحا حيث لم يبق جنود ولا اهلون وبخاصة المسلحين.